بطلان دعاوى اليهود في القدس وفى فلسطين عامة

لليهود والصهاينة دعاوى عريضة ، يزعمون بها أن لهم حقًا فى القدس أو فى فلسطين كلها ، وهم يتبجحون بهذه الدعاوى ، التي لا سند لها من الدين ولا من التاريخ ، وإن أسندوها زورا إلى الدين وإلى التاريخ .

لا حق لليهود فى القدس ولا فى فلسطين :

ونؤكد هنا بما لا يدع مجالا للشك : أن القدس عربية إسلامية ، كما أن فلسطين كلها عربية إسلامية ، وليس لليهود فيها أى حق ، حتى يسلبوها من أهلها ، ويحولوها إلى عاصمة لدولتهم القائمة على الاغتصاب والعدوان .

إن اليهود يزعمون أن لهم حقًا تاريخيًا ، وحقًا دينيًا فى فلسطين ، والواقع أنهم مغتصبون لأرض غيرهم ، وليس لهم أدنى حق فى هذه الأرض ، لا من الناحية التاريخية ، ولا من الناحية الدينية . كما سنبين ذلك فيما يلى :

مناقشة عامة :

وقبل أن ندخل فى مناقشة الحق المزعوم لليهود فى فلسطين نود أن نسألهم : لماذا لم يظهر هذا الحق طوال القرون الماضية؟ بل لماذا لم يظهر فى أول الأمر عند ظهور الصهيونية السياسية

المنظمة على يد (هرتزل)؟ فمن المعروف أن فلسطين لم تكن هى المرشحة لتكون الوطن القومى لليهود . بل رشحت عدة أقطار فى أفريقيا وأمريكا الشمالية كذلك ، ولم تظهر فكرة فلسطين ـ باعتبارها أرض الميعاد ـ إلا بعد فترة من الزمن .

لقد حاول هرتزل الحصول على مكان فى (موزمبيق) ثم فى (الكنغو) البلجيكى . كذلك كان زملاؤه فى إنشاء الحركة الصهيونية السياسية ، فقد كان « ماكس نوردو » يلقب بالإفريقى ، و« حاييم وايزمان» بالأوغندى ، كما رشحت (الأرجنتين) عام ١٨٩٧ و(قبرص) عام ١٩٠١ ، و(سيناء) فى ١٩٠٢ ثم (أوغندا) مرة أخرى فى ١٩٠٣ بناء على اقتراح الحكومة البريطانية . وأصيب هرتزل بخيبة أمل كبيرة ، لأن اليهود فى العالم لم ترق لهم فكرة دولة يهودية سياسية ، سواء لأسباب أيديولوجية ، أو لأنهم كانوا عديمى الرغبة فى النزوح عن البلاد التى استقروا فيها . بل إن مؤتمر الحاخامات الذى عقد فى مدينة فيلادلفيا فى أمريكا فى أواخر القرن التاسع عشر أصدر بيانا يقول : إن الرسالة الروحية التى يحملها اليهود تتنافى مع إقامة وحدة سياسية يهودية منفصلة !.

وإزاء هذا الموقف ، فكر «هرتزل» فى طريقة يواجه بها هذا الوضع ، وهداه تفكيره إلى أن يحول الموضوع إلى قضية دينية يلهب بها عواطف جماهير اليهود . . ورأى أن فلسطين هى المكان الوحيد الذى يناسب هذه الدعوة الجديدة ، ولليهود بفلسطين

علائق تاريخية ، ولهم فيها مقدسات دينية ، وارتفعت راية الدين على سارية المشروع والتهبت العواطف ، وانتصر رأى «هرتزل» وإن يكن بعد وفاته ، فقد احتضن المؤتمر اليهودى العالمى فكرة الوطن اليهودى فى فلسطين عام ١٩٠٥ ، بعد موته بسنة .

دعوى الحق التاريخى :

من المعروف تاريخيًّا : أن أول من بنى القدس هم «اليبوسيون» وهم قبيلة من قبائل العرب القدامى ، نزحت من شبه الجزيرة العربية مع الكنعانيين ، وذلك منذ نحو ثلاثين قرنا قبل الميلاد ، وكانت تسمى «أورشالم» أو مدينة «شالم» ، وهو إله اليبوسيين ، كما احتفظت باسمها الأول «يبوس» نسبة إلى القبيلة ، وقد ورد ذكر هذا الاسم فى التوراة .

وبعد ذلك سكن القدس وسكن فلسطين عامة : العرب الكنعانيون وغيرهم قرونًا وقرونًا ، إلى أن جاءها إبراهيم عليه السلام مهاجرًا من وطنه الأصلى بالعراق ، غريبا ، وقد دخل فلسطين هو وزوجه سارة ، وعمره ـ كما تقول أسفار العهد القديم ـ (٧٥) سنة .

ولما بلغ (١٠٠) سنة ولد له إسحاق[١]، ومات إبراهيم وعمره (١٧٥) سنة ، ولم يمتلك شبرًا من فلسطين ، حتى إن زوجه سارة لما ماتت طلب من الفلسطينيين لها قبرا [٢] تدفن فيه .

---

(١) سفر التكوين: ف ١٢ .

(٢) سفر التكوين: ف ٢٣ .

ولما بلغ إسحاق (٦٠) سنة ولد له يعقوب ، ومات إسحاق وعمره (١٨٠) سنة ، ولم يملك شبرًا أيضًا منها .

ارتحل يعقوب بذريته بعد أبيه إلى مصر ، ومات بها وعمره (١٤٧) سنة ، وكان عدد بنيه وأولادهم (٧٠) نفسًا لما دخلها ، وكان عمره (١٣٠) سنة [١] .

ومعنى هذا أن المدة التى عاشها إبراهيم وابنه إسحاق ، وحفيده يعقوب فى فلسطين : (٢٣٠) سنة ، وقد كانوا فيها غرباء لا يملكون من أرضها ذراعًا ولا شبرًا .

وتقول التوراة : إن المدة التى عاشها بنو إسرائيل بمصر حتى أخرجهم موسى : (٤٣٠) سنة [٢] ، كانوا أيضًا غرباء لا يملكون شيئًا ، كما تقول التوراة : إن المدة التى عاشها موسى وبنو إسرائيل فى التيه بسيناء (٤٠) سنة ، أى أن العهد الذى صدر إليهم من الله مضى عليه حينذاك (٧٠٠) سبعمائة سنة ، وهم لا يملكون فى فلسطين شيئًا فلماذا لم يحقق الله تعالى وعده لهم ؟؟

ومات موسى ولم يدخل أرض فلسطين ، إنما دخل شرقى الأردن ومات بها [٣] والذى دخلها بعده : يشوع (يوشع) ، ومات بعد ما أباد أهلها (كما تقول التوراة). وقسم الأرض على أسباط بنى إسرائيل ، ولم يقم لبنى إسرائيل ملك ولا مملكة ، وإنما قام بعده قضاة حكموهم (٢٠٠) سنة ، ثم جاء بعد القضاة حكم

---

(١) سفر التكوين: ف ٤٦ .
(٢) سفر التكوين: ف ١٥ .
(٣) سفر الخروج: التثنية: ف ٣ .

الملوك : شاؤول وداود وسليمان ، فحكموا (١٠٠) سنة ، بل أقل ، وهذه هى مدة دولتهم ، والفترة الذهبية لهم . وبعد سليمان انقسمت مملكته بين أولاده : يهوذا فى أورشليم ، وإسرائيل فى شكيم (نابلس) ، وكانت الحرب بينهما ضروسا لا تتوقف ، حتى جاء الغزو البابلى فمحقهما محقًا ، دمر الهيكل وأورشليم ، وأحرق التوراة ، وسبى كل من بقى منهم حيا ، كما هو معلوم من التاريخ . .

ويعلق على ذلك الشيخ عبد المعز عبد الستار فى كتابه (اقترب الوعد الحق يا إسرائيل) قائلا :

فلو جمعت كل السنوات التى عاشوها فى فلسطين غزاة مخربين ، ما بلغت المدة التى قضاها الإنجليز فى الهند أو الهولنديون فى أندونيسيا ! فلو كان لمثل هذه المدة حق تاريخى لكان للإنجليز والهولنديين أن يطالبوا به مثلهم !

ولو كانت الأرض تملك بطول الإقامة فى زمن الغربة ، لكان الأولى بهم أن يطالبوا بملكية مصر التى عاشوا فيها (٤٣٠) سنة بدل فلسطين التى عاش فيها إبراهيم وأولاده (٢٠٠) سنة أو تزيد قليلا ودخلوها شخصين وخرجوا (٧٠) نفسا !.

لكن هؤلاء اليهود لا يدعون الحق فى امتلاك أرض فلسطين وحدها ، وإنما يدعون الحق فى امتلاك الكرة الأرضية كلها.

الله تعالى يقول : ﴿ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴾ (الرحمن: ١٠)، أى لجميع الخلق ، وهؤلاء يقولون : (حين قسم العلىّ الأمم وفرق

بنى آدم ، وضع تخوم الأرض على عدد أسباط بني إسرائيل)[1]! ويقولون كما جاء فى سفر يشوع [2] : (كل موضع تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم)! فعلى مقتضى هذا المبدأ والقانون يكون من حقهم أن يطالبوا بمصر وكل أرض وطئوها .

بل فى نكبة (٥ يونيو ١٩٦٧) سأل مندوب الأسوشيتدبرس جنديا إسرائيليا : ما هى حدود دولة إسرائيل؟ فأجابه بكل صلف وغرور : (حيث أضع قدمى)، وضرب بحذائه الأرض[3].

إن الحق التاريخى الذى يدعونه ـ كما يقول الشيخ عبد المعز ـ خرافة وصلافة ، فهم لن يقيموا فى فلسطين إلا غرباء ، كما تصرح بذلك الأسفار ، فهل للغريب أو عابر السبيل أن يدعى ملكية الأرض التى أقلته ، أو الشجرة التى أظلته ، لأنه قال تحتها ساعة من نهار؟ على أنهم لم يقيموا بها آمنين عاملين مستثمرين ، وإنما أقاموا فى سلسلة متصلة من الغارات الدامية ، والحروب الدائرة التى لم تتوقف فيما بينهم بعضهم وبعض « يهوذا وإسرائيل »، وفيما بينهم وبين الفلسطينيين .

وقد بلغ عدد من قتلوا من الفلسطينيين مائتى ألف قتيل[4]، وعدد من قتلهم داود وحده بعد ذلك أكثر من (١٠٠) ألف قتيل[5]! ـ حسب قول كتبهم ـ ثم دهاهم الغزو البابلى فبددهم .

---

(١) سفر التثنية : ف ٣٢ ، أى فصلت الأرض على قدهم .
(٢) ف ١ وتثنية أيضًا .
(٣) صحيفة الأخبار ١٠ يونيو ١٩٦٧ م .
(٤) كما هو ثابت فى فصول سفر القضاة .
(٥) سفر الملوك : ٢ ، ٣ .

على أنهم لم يكادوا ينفكون من الغزو البابلى ، حتى جاءهم الغزو الرومانى فأباد خضراءهم ومزقهم كل ممزق ، ثم جاء الفتح الإسلامى وهم مشردون فى الأرض ، محرم عليهم أن يقيموا فى أورشليم ، حتى إن البطريك صفرنيوس بطريرك القدس شرط على أمير المؤمنين عمر وهو يسلمه مفاتيح القدس : ألا يسمح لليهود بدخول إيليا أو الإقامة فيها .

لقد دخلها العرب وهى خالية من اليهود ، بعد ما طردهم الرومان ، وأسلم أهلها ، وبقى العرب فيها أكثر من ألف وأربعمائة عام ، أفلا يكون لهم حق تاريخى مثل اليهود؟ [1] اهـ .

مناقشة هادئة :

ونضيف إلى هذه الحقائق مناقشة هادئة نتمم بها إبطال دعوى الحق التاريخي التى زعم بها اليهود أن فلسطين كلها كانت أرض الآباء والأجداد .

يقول مؤلف (تاريخ اليهود) :

« والذى لا شك فيه أن داود ـ الذى يقال : إن مملكة إسرائيل وصلت فى عهده إلى أقصى درجات اتساعها ـ لم يتمكن من فرض سيطرته ، لا على المنطقة بين النيل والفرات ، ولا على أرض كنعان وحدها ، ولا حتى على منطقة شرق فلسطين الجبلية ،

---

(١) انظر : «اقترب الوعد الحق يا إسرائيل» للشيخ عبد المعز عبد الستار ص١٧-٢١، وكتاب: «هل لبنى إسرائيل حقوق توراتية فى فلسطين العربية؟» لمحمد أحمد أبو فارس ، نشر مكتبة بيت الحكمة للإعلام والنشر والتوزيع.

وعلى ذلك فإن الأدلة التاريخية تؤكد أن أكبر رقعة استطاعت إسرائيل السيطرة عليها فى أى وقت من الأوقات لم تكن فى العصور القديمة ، وإنما فى العصر الحديث ، عند احتلالها مجمل أرض فلسطين ومرتفعات الجولان وجنوب لبنان وأرض سيناء ، وكان ذلك للمرة الأولى (عام ١٩٦٧م).

فلم يكن لبنى إسرائيل وجود ـ أيام داود ـ لا فى أى موقع بالساحل الفلسطينى ، ولا فى الجليل بشمال فلسطين ، بخلاف موقع صغير عند تل القاضى ، ولا فى صحراء النقب فى الجنوب ، وكان وجودهم عندئذ منحصرا فى بعض المواقع الجبلية فى المنطقة الممتدة من دان « تل القاضى » فى الشمال إلى « بئر سبع » فى الجنوب .

وسوف نرى كيف أن الكهنة الذين أعادوا صياغة كتب « العهد القديم » وهم فى بابل خلال القرن السادس ق . م ، استعاروا من الكتابات المصرية قصة حروب تحتمس الثالث ، أعظم ملوك العالم القديم ، لتكوين الإمبراطورية المصرية بين النيل والفرات ـ كما نجدها منقوشة على جدران معبد الكرنك ـ وأضافوها إلى رواية ملكهم داود ، بل حتى لم يحاولوا مزج الجزء الذى استعاروه من المصادر المصرية ، وأدخلوه كما هو من دون تعديل كبير فى وسط الرواية الرئيسية ، فظهر واضحًا أنه لا علاقة له بباقى القصة ، فنحن نجد داود بنى إسرائيل ومعه جيشه المكون من (٦٠٠) رجل يحاولون فى صراع داخلى بين القبائل

الإسرائيلية ، أو مع الفلسطينيين ، وفجأة نجد تفاصيل معركة كبيرة تخوضها جيوش منظمة فى مواقع محصنة عدة من أرض الهلال الخصيب ، ولم يكن صدق الرواية التاريخية يهم الكهنة فى شىء ، وإنما كان هدفهم الرئيسى من ادعاء هذه الانتصارات الجبارة هو حث بنى إسرائيل على ترك عبادة الأصنام والعودة إلى ديانة موسى، حتى ينصرهم ربهم على أعدائهم [1] .

ولابد لنا أن نذكر ـ ولو بإيجاز ـ ما صنعه البابليون والرومان ببنى إسرائيل ، الذين سلطهم القدر عليهم لتأديبهم ، جزاء إفسادهم فى الأرض وطغيانهم بغير الحق .

ففى عام (٥٩٧ق.م) زحف الملك البابلى «نبوخذ نصر» على أورشليم ، وأخذ معظم سكانها أسرى إلى بابل ـ وبتحريض من مصر ثارت البقية من سكان المدينة على سادتهم الجدد . فقدم ملك بابل بنفسه وفرض على أورشليم حصارًا استمر عامين (٥٨٨ ق.م) ، واستسلمت المدينة على أثره ودمرت ، ولم يترك البابليون فيها إلا الضعفاء ، أما بقية أهلها فقد سيقوا فى الأسر إلى نهر الفرات .

ومنذ ذلك الوقت ـ كما يقول الأستاذ محمد صبيح ـ انتهى وجود اليهود فى فلسطين كحكومة لها سلطة وشعب يتبعها .

وبقى لهم المعنى الدينى ، وهو أنهم شعبة من القبائل ، تنتسب لإبراهيم الخليل صلوات الله عليه .

---

(١) انظر تاريخ اليهود لأحمد عثمان : ١ / ١٣٦ ، ١٣٧ .

هذه هى خاتمة اليهود فى أورشليم ، أى فيما كان يسمى مملكة إسرائيل التى أنشأها داود عليه السلام . . . ثم انقسمت من بعده إلى يهوذا ، وإسرائيل . . وقد حكم فى أورشليم من بعد سليمان عشرون ملكا حتى ابتداء السبى البابلى ، وذلك فى الفترة من عام (٩٣٠ ق.م) (وفاة سليمان) حتى عام (٥٨٦ ق.م).

أما المملكة الشمالية ، التى كان اسمها إسرائيل ، وعاصمتها شكيم (نابلس)، فقد حكمها الابن الثانى لسليمان الحكيم ، أى عام (٩٣٠ ق.م) وانتهى وجودها سريعًا . ففى عام (٧٢٢ ق.م) أغار عليها سرجون الثانى ملك بابل ، ودمر وجودها ، ونقل جميع أهلها إلى شرق الفرات ، وأحل محلهم سكانا جددًا من أبناء الرافدين . وكان عدد ملوك إسرائيل هذه تسعة عشر ملكًا ، عاشوا فى شغب ، ومخالفات خائبة مع الوثنيين لمهاجمة أبناء عمومتهم فى أورشليم .

وإذا حسبنا عمر هاتين الدولتين ، تكون أورشليم (يهوذا) قد عمرت (٤٣٤) سنة بما فيها ملك شاول وداود وسليمان (وإسرائيل) عمرت (٢٩٨) سنة فقط،منذ عهد شاول (١٠٢٠ق.م).

وكما نرى فإن سيادة اليهود على قطعة محدودة من أرض فلسطين انتهت قبل ميلاد المسيح عليه السلام بحوالى ستة قرون ، وبعد خمسة وعشرين قرنًا وبعض قرن ، يحاولون أن يعيدوا هذا التاريخ السحيق مرة أخرى ، وياله من تاريخ ، وياله من عودة !.

ونحن هنا نتحدث عن «السيادة» على قطعة من الأرض ونهايتها . أما ختام الوجود اليهودى فى فلسطين فقد تأخر بعض

الوقت . . تأخر إلى عهد الرومان إلى عام (٧٠م)، كما سنرى فيما بعد .

حديث القرآن عن إفساد بنى إسرائيل وعقوبتهم :

وقد تحدث القرآن الكريم عن هاتين النهايتين : تدمير سيادتهم بالأسر البابلى ، وإنهاء وجودهم بالسحق الرومانى ، وذلك فى الآيات الكريمة :

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ (الإسراء:٤).

﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ (الإسراء:٥).

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ (الإسراء:٦).

﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ﴾ (الإسراء:٧،٨).

آيات سورة الإسراء ورأى بعض علماء العصر :

وقد ذهب بعض علماء العصر مثل الشيخ الشعراوى والشيخ عبد المعز عبد الستار وغيرهما إلى أن المرة الأولى فى إفساد بنى إسرائيل كانت فى عصر النبوة بعد البعثة المحمدية ، وهى ما قام

به بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ، وأهل خيبر ، من كيد وبغى على الرسول وأصحابه ، وقد نصرهم الله عليهم .

وكان العباد المسلطون عليهم هم النبى والصحابة . بدليل مدح هؤلاء بإضافتهم إلى الله بقوله ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ . أما إفسادتهم الثانية فهى ما يقومون به اليوم من علو كبير وطغيان عظيم ، وانتهاك للحرمات ، وإهدار للحقوق ، وسفك للدماء ، وغيرها .

وسيتحقق وعد الله تعالى بتأديبهم وعقوبتهم وتسليط المسلمين عليهم كما سلطوا من قبل .

تفنيدنا لهذا الرأى وأدلة ذلك :

ورأيى أن هذا التفسير ضعيف لعدة أوجه :

أولاً : أن قوله تعالى : ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ ﴾ (الإسراء:٤) أى أنهينا إليهم وأعلمناهم فى الكتاب ، والمراد به : التوراة ، كما قال قبلها : ﴿ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ (البقرة:٥٣) وما جاء فى الكتاب أى أسفار التوراة يدل على أن هاتين المرتين قد وقعتا ، كما فى سفر تثنية الاشتراع .

ثانيًا : أن قبائل بنى قينقاع والنضير وقريظة لا تمثل بنى إسرائيل فى قوتهم وملكهم ، إنما هم شرائح صغيرة من بنى إسرائيل بعد أن قطعوا فى الأرض أمما .

ثالثًا : أن الرسول والصحابة لم يجوسوا خلال ديار بنى إسرائيل ـ كما أشارت الآية الكريمة ـ إذ لم تكن لهم ديار ، وإنما هى ديار العرب فى أرض العرب .

رابعًا : أن قوله تعالى ﴿ عِبَادًا لَّنَآ ﴾ لا يعنى أنهم من عباده الصالحين ، فقد أضاف الله تعالى الكفار والعصاة إلى ذاته المقدسة ، كما فى قوله تعالى : ﴿ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَـٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (الفرقان:١٧).

وقوله : ﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ (الزمر:٥٣).

خامسًا : أن قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَـٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَـٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ يتضمن امتنان الله تعالى عليهم بذلك ، والله تعالى لا يمتن على بنى إسرائيل بإعطائهم الكرة على المسلمين .

سادسا : أن الله تعالى إنما رد الكَرَّة لبنى إسرائيل على أعدائهم بعد أن عاقبهم فى المرة الأولى ، لأنهم أحسنوا وأصلحوا ، كما قال تعالى : ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ﴾ واليهود ـ كما عرفناهم وشاهدناهم ـ لم يحسنوا ولم يصلحوا قط، ولذا سلط الله عليهم هتلر وغيره . كما يبتلى ظالما بظالم . وهم منذ نحو مائة سنة يمكرون بنا ويتآمرون علينا، ليسرقوا أرضنا ، فمتى أحسنوا حتى يرد الله لهم الكرة علينا ؟؟ .

سابعًا : أن الله تعالى قال فى المرة الآخرة : ﴿ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ .

والمسلمون لم يدخلوا مسجدهم قبل ذلك بالسيف والقهر ولم يتبروا ما علوا تتبيراً ، بل لم يكن شأن المسلمين أبدًا التتبير والتدمير فى حروبهم وفتوحهم . إنما هو شأن البابليين والرومان الذين سلطوا على الإسرائيليين .

ثامنًا : أن ما أجمع عليه المفسرون القدامى أن مرتى الإفساد قد وقعتا ، وأن الله تعالى عاقبهم على كل واحدة منهما ، وليس هناك عقوبة أشد وأنكى عليهم من الهزيمة والأسر والهوان والتدمير على أيدى البابليين الذين محوا دولتهم من الوجود ، وأحرقوا كتابهم المقدس ، ودمروا هيكلهم تدميراً ، وكذلك ضربة الرومان القاصمة التى قضت على وجودهم فى فلسطين قضاء مبرما ، وشردتهم فى الأرض شذر مذر،كما قال تعالى:﴿ **وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا** ﴾ (الأعراف:١٦٨) .

والواضح أنهم اليوم يقعون تحت القانون الإلهى المتمثل فى قوله تعالى:﴿ **وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا** ﴾ (الإسراء:٨) وهاهم قد عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان ، وسنة الله تعالى أن يعود عليهم بالعقوبة التى تردعهم وتؤدبهم ، وتعرفهم قدر أنفسهم ، كما قال الشاعر :

إن عادت العقرب عدنا لـــها بالنعل والنعل لهـا حاضـرة !

يؤكد ذلك قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ** ﴾ (الأعراف:١٦٧).

وهذا الدمار الأول ، الذى تم على أيدى البابليين ، وتحدث عنه القرآن الكريم على النحو الذي نراه ، كان بالغ التأثير على اليهود .. فقد أزال معظم الوجود اليهودى من فلسطين . وظهر من السهولة التى أجلى بها البابليون سكان (منطقة إسرائيل)، على يد «سرجون» ثم سكان (منطقة يهوذا) على يد «نبوخذ نصر». أن جذور هؤلاء القوم لم تكن عميقة فى أرض فلسطين . وإذا استثنينا المعبد وقصر سليمان ، فلا تكاد تذكر لهم آثار خلال تسعة قرون قبل هذا الإجلاء . وكل ما يمكن أن نقوله : إنهم أقاموا فى جزء من أرض كنعان ، بما فيها من قرى صغيرة . وحتى المدن كانت أشبه بالقرى ، باستثناء أورشليم وشكيم (نابلس) [1] .

الفتح الإسلامى :

وقد فتح المسلمون القدس فى عهد عمر، كما ذكرنا من قبل ، ولم يتسلموها من اليهود ، بل لم يكن فيها يهودى واحد ، فقد حرمها الرومان عليهم ، بعد أن أنهوا وجودهم منذ أكثر من أربعة قرون، وكان من الشروط التى أقرها عمر لبطريك القدس : ألا يساكنهم فيها يهود .

وظل العهد العمرى محترمًا معمولاً به خلال التاريخ الإسلامى، لأن المسلمين مأمورون أن يتبعوا سُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين ، ولا ريب أن عمر منهم ، إلى أن ظهر عهد

---

(١) انظر : القدس ومعاركنا الكبرى ص (٢١٨ - ٢٢٠) لمحمد صبيح .

آخر مزور على عمر ﷺ ، حذف منه النص بعدم إقامة اليهود فى بيت المقدس ، ولا ندري متى زور هذا العهد[1]، ومن ثم بدأ التسلل اليهودى إلى المدينة المقدسة فى غفلة من المسلمين .

وقد ذكر لنا تاريخ الحروب الصليبية : ماذا أصاب المدينة المقدسة عندما احتلها الصليبيون ، وقتلوا ستين ألفًا فى مسجدها ، وبقيت تحت أيديهم تسعين عامًا ، إلى أن حررها القائد المسلم المظفر صلاح الدين الأيوبى رحمه الله سنة (١١٨٧) بعد انتصاره على الصليبيين فى معركة حطين الشهيرة ، مكملاً ما بدأه من قبل القائدان الكبيران : عماد الدين زنكى ، وابنه نور الدين محمود الشهيد .

ولم يُعر التاريخ التفاتا إلى الوجود اليهودى فى فلسطين ، ولم يعطهم اهتمامًا ، وعاملهم كما يعامل أهل الذمة فى دار الإسلام تسامحًا وكرمًا وعدلاً وبرًا .

محاولات الصهيونية الحديثة الضغط على الدولة العثمانية :

ولكن الذى يحفظه التاريخ جيدًا هو محاولات الصهيونية الحديثة الضغط على الدولة العثمانية ، وخصوصًا فى فترات شيخوختها وضعفها ، للسماح لليهود بتملك أجزاء من فلسطين ، ولا سيما فى عصر السلطان عبد الحميد ، الذى وقف موقفًا مشرفًا يحفظه التاريخ ويسجله له بأحرف من نور .

---

(١) انظر : القدس ومعاركنا الكبرى ص (٣٢٧ - ٣٣٠) .

كتب الدكتور حسان حلاق [1] فى صحيفة «النهار» اللبنانية تعقيبًا جيدًا مبنيًا على الحقائق التاريخية قال فيه :

منذ أن تولى السلطان عبد الحميد الثانى السلطنة العثمانية (١٨٧٦-١٩٠٩م) تنبه إلى خطورة إشغال الأراضي الفلسطينية لاسيما من اليهود ، لهذا فقد أصدر منذ فترة مبكرة فرمانات سلطانية عدة تمنع إقامة اليهود الدائمة فى فلسطين . وفى عام (١٨٨٢م) صدرت قرارات جديدة بهذا المعنى ردًا على محاولات «جمعية أحباء صهيون» : الحصول على إذن رسمى بالهجرة ، وقد حاول فى الفترة ذاتها «لورنس أوليفانت» (L.oliphant) أن يوسط استراوس السفير الأمريكي فى الآستانة للسماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين ، غير أن مساعيه فشلت لدى السلطان والأوساط العثمانية ، وكان جواب السلطان عبد الحميد الثانى : «أن اليهود يستطيعون العيش بسلام فى أية جهة من المملكة إلا فى فلسطين ، وأن الدولة العثمانية ترحب بالمضطهدين ، ولكنها لا ترحب بإقامة مملكة لليهود فى فلسطين يكون أساسها الدين ، وعلى اليهود المهاجرين إلى الأراضى العثمانية أن يصبحوا رعايا عثمانيين ، وأن يقبلوا تطبيق القوانين المعمول بها فى الإمبراطورية».

لهذا فقد حرص السلطان عبد الحميد على تعيين متصرفين فى فلسطين ممن يستطيعون منع الهجرة اليهودية واستقرار اليهود فى

---

(١) أستاذ جامعى فى بيروت وله كتاب عن علاقة الدولة العثمانية بفلسطين .

مدنها، وكان فى مقدم هؤلاء متصرف القدس رؤوف باشا (١٨٧٦-١٨٨٨م)، وعندما تيقنت الدولة العثمانية أن بعض الدول الأجنبية تساعد على تسريب اليهود إلى فلسطين أصدر الباب العالى قراراً فى (٢٩حزيران ١٨٩٢م) تضمن ضرورة منع الذين يحملون جنسيات أجنبية من الدخول إلى فلسطين ، وتكررت هذه الفرمانات ، وأبلغت إلى القنصليات الأجنبية ، مع استياء الدولة العثمانية من ممارستها فى دعمها الهجرة اليهودية .

هذا وقد أكدت وثائق وزارة الخارجية البريطانية (F . O) موقف الدولة العثمانية الصارم ضد الهجرة اليهودية ، ومن بينها تقارير ديكسون (Dickson) القنصل البريطانى فى القدس حينما أشار فى تقرير بتاريخ (١٤ شباط ١٨٩٢م) إلى « أن التعليمات الصادرة من الباب العالى تفيد بأن هجرة اليهود بقصد الاستقرار فى فلسطين غير مسموح بها ، أما الذين يرغبون فى زيارة البلاد كحجاج فسوف يسمح لهم بالإقامة لمدة تتراوح بين شهر أو شهرين ينبغى عليهم بعدها مغادرة البلاد» .

لقد حاول الزعيم الصهيونى تيودور هرتزل أن يحصل على فرمان من السلطان عبد الحميد الثانى للسماح لليهود بهجرة رسمية منظمة ، ووسّط لهذه الغاية : البابوية وإنكلترا والنمسا وألمانيا والقوى الأمريكية وبعض الأوساط التركية ، ولما تأكد له فشل مساعيه رأى هرتزل ضرورة القضاء على الدولة العثمانية ، ومما قاله : « إن القضاء على الدولة العثمانية أو تقسيمها هو الحل

الوحيد لقيام الدولة اليهودية ، إنه إذا تم تقسيم تركيا فى المستقبل القريب ، فسوف تقف الدولة الصهيونية التى تقام فى فلسطين حاجزًا ، أما إذا قبل السلطان بالمطالب والعروض اليهودية ، فهذا مما يبدل سياسة الصهيونية نحوه ، فنحن نستطيع أن نسند السلطان سندًا قويا بالمال إذا هو تخلى لنا عن قطعة أرض لا قيمة كبيرة لها عنده» (يوميات هرتزل ١٣ نيسان ١٨٩٦م).

لقد كانت الزيارة الأولى لهرتزل لاسطنبول فى (١٨ حزيران ١٨٩٦م)، وقد زارها كصحافى وليس كزعيم صهيونى ، وكرر زياراته فى ما بعد ، ولكن من دون جدوى ، وأهم تعبير عن موقف الدولة والسلطان عبد الحميد الثانى من المطالب الصهيونية ما دونه هرتزل فى يومياته ومذكراته بعد أن صدم من الموقف العثمانى لقد دون هرتزل موقف السلطان حينما رد على الوسطاء بما يأتى: «لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدًا من البلاد ، لأنها ليست لى بل لشعبى ، لقد حصل شعبى على هذه الإمبراطورية بإراقة دمائهم ، وقد غذوها فى ما بعد بدمائهم ، وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لأحد باغتصابها منا لا أستطيع أبدًا أن أعطى أحدًا أى جزء منها، ليحتفظ اليهود بملياراتهم ، فإذا قسمت الإمبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين ، من دون مقابل ، إنما لن تقسم إلا على جثتنا ، ولن أقبل بتشريحنا لأى غرض كان» (يوميات هرتزل ١٩حزيران ١٨٩٦م)، ص٣٧٨، (الترجمة العربية ص٣٥).

لقد استمر هرتزل حتى وفاته عام (١٩٠٤ م) يحاول الحصول على إذن رسمي بالهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وقد فشل في مساعيه جميعها ، مما دعاه للتفكير قبل وفاته بضرورة إزاحة السلطان عبد الحميد الثانى عن العرش حتى يتحقق الحلم الصهيونى ، وبالفعل فإن قادة الحركة الصهيونية رأوا ضرورة الارتباط مع القوى الدولية الهادفة إلى السيطرة على الدولة العثمانية وتقسيمها ، ومن ثم التعاون مع القوى التركية المعارضة للسلطات الممثلة بجماعة «تركيا الفتاة» وجناحها «الاتحاد والترقى»، وهى الجمعية الطورانية المتعصبة ضد العرب ، والعاملة ضد كل ما هو عربى ، لهذا كله تجمعت القوى الصهيونية والماسونية والدونمة والقوى الدولية ، وبدأت اجتماعاتها المكثفة فى خلايا سالونيك للتخطيط لخلع السلطان عن العرش ، بعد أن تعذر تحقيق الحلم الصهيونى وهو لا يزال على العرش .

لقد أشارت الوثائق البريطانية والوثائق التركية إلى أن الحقيقة الظاهرة فى تكوين «جمعية الاتحاد والترقى» أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ إنشائها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركى خالص ، فـ (أنور) باشا مثلاً هو ابن رجل بولندى ، وكان (جاويد) من يهود الدونمة ، و (قارصوه) من يهود إسبانيا ، وكان (طلعت) باشا بلغاريًا من أصل غجرى اعتنق الإسلام ظاهرًا ، أما (أحمد رضا) فقد كان نصفه شركسيًا والنصف الآخر مجريًا ، كما أن (نسيم روسو) و (نسيم مازلياج)

كانا من اليهود ومن العناصر الفاعلة فى حركة «تركيا الفتاة» . التى أعدت الثورة ضد السلطان عبد الحميد الثانى .

لقد نجحت هذه القوى مجتمعة فى ثورة عام (١٩٠٨م)، وفى خلع السلطان عبد الحميد الثانى عن العرش عام (١٩٠٩م)، ودفع السلطان ثمنًا غاليًا نتيجة مواقفه المشرفة من فلسطين ومن العرب . والدولة العثمانية بعد عام (١٩٠٩م) هى غيرها قبل عام (١٩٠٩م) ، وكان أحد رموز الحكومة الجديدة ورموز الطورانية (أحمد جمال) باشا الذى عانى منه الشعب اللبنانى والسورى فى عامى (١٩١٥-١٩١٦م)، وهذا الرجل ليس هو سوى وليد الحركة الصهيونية والدونمة و «الاتحاد والترقى» وهى القوى المعادية للعرب وللعروبة على السواء اهـ [(١)].

وهى فى نفس الوقت معادية كل العداء للإسلام : عقيدته وشريعته ونبيه وقرآنه وحضارته وأمته .

وخلاصة هذا البحث ما قاله صديقنا البحاثة . الدكتور حسان حتحوت : أن اليهود عاشوا فى فلسطين فترة محدودة من الزمن ، ولكن التاريخ يسجل : أنهم عندما دخلوها ، لم يجدوها فارغة ، وعندما رحلوا عنها لم يتركوها فارغة ! لقد كان فيها أهلها (الفلسطينيون المذكورون فى التوراة). قبل اليهود ، ومع اليهود ، وبعد اليهود ، وما زالوا حتى الآن . والحق التاريخى إذن لا يقوم على أساس ، والأجدر أن يسمى (الزيف التاريخى)[(٢)].

---

(١)جريدة النهار فى ٢٢ / ٤ / ١٩٩٧ .

(٢) انظر : كتاب (بهذا ألقى الله) للدكتور حتحوت ص ١٨٤.

دعوى الحق الدينى :

ويـزعـم اليهود أن لهم حقًّا دينيًّـا فـى فلسـطين . يقـول الشـيخ عبد المعز :

حدثنا الإمام فقيد الإسلام السيد محمد أمين الحسينى مفتى فلسطين ورئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين رحمه الله قال : كنت أرد زيارة للمندوب البريطانى حاكم فلسطين ، فقال لى : إن أمى علمت بوجودك وتود مقابلتك ، فقلت له : أهلا وسهلا ، وجاءت العجوز ، فكان أول ما قالته لى : أرجوك ألا تقف ضد إرادة الرب ، فقلت لها : يا سيدة ، ومن يستطيع أن يقف ضد إرادة الرب ؟ قالت : أنت ، قلت لها : كيف ؟ قالت : لأنك لا تريد أن تعطى اليهود الأرض التى أعطاها الله لهم ، قلت : إنها أرضى وبيتى وكيف يعطيها الله لهم وأنا أين أذهب ؟ قالت : إنها إرادة الله ! ولما انتهت المقابلة قلت لابنها : إن والدتك طيبة متأثرة باليهود ، قال : لا ، بل نحن البروتستانت نؤمن بهذا والأناجيل تبشر به .

ولما أصدرت بريطانيا الكتاب الأبيض سنة (١٩٣٩م) تحدد فيه أعداد المهاجرين اليهود إلى فلسطين ثار اليهود وسيروا المظاهرات فى عواصم أوربا تهتف : الكتاب المقدس لا الكتاب الأبيض يعطينا الحق فى فلسطين .

التوراة لا الكتاب الأبيض تعطينا حقنا فى فلسطين [1].

---

(١) اقترب الوعد الحق ص ١٦ .

وهذا ما رأينا أثره بجلاء فى مواقف الرؤساء الأمريكيين منذ عهد ترومان ، وقرأناه بوضوح فى مذكرات « كارتر » الذى أعلن أن تأسيس إسرائيل المعاصرة تحقيق للنبوءة التوراتية ! ولمسناه فى سياسات ريجان وبوش وكلنتون ، وهو ما يجسد « البعد الدينى المسيحى » [1] فى الصراع الإسرائيلى مع العرب .

وقد أثرت الأدبيات اليهودية فى تكوين العقيدة المسيحية ، ولا سيما لدى البروتستانت ، وقد دارت هذه الأدبيات حول محاور ثلاثة :

الأول : أن اليهود هم شعب الله المختار ، والأمة المفضلة على سائر الأمم .

الثانى : أن ثمت ميثاقا إلهيا ربط اليهود بالأرض المقدسة فى فلسطين ، وأن هذا الميثاق الذى أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام : ميثاق سرمدى حتى قيام الساعة .

الثالث : هو ربط الإيمان المسيحى بعودة السيد المسيح بقيام دولة صهيونية : أى بإعادة تجميع اليهود فى فلسطين ، حتى يظهر المسيح فيهم .

هذه المحاور الثلاثة هى التى تؤلف اليوم ـ كما ألفت فى الماضى ـ قاعدة « الصهيونية المسيحية » التى تربط الدين بالقومية ، والتى تسخر الاعتقاد الدينى المسيحى لتحقيق مكاسب يهودية [2] .

---

(١) وقد ألف فى ذلك د . يوسف الحسن كتابه « البعد الدينى فى السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربى الصهيونى » نشره مركز دراسات الوحدة العربية .

(٢) انظر : الأصولية الإنجيلية لمحمد السماك ص ٣٦ ، ٣٧ .

تعتقد الصهيونية المسيحية أن ثلاث إشارات يجب أن تسبق عودة المسيح :

١- الإشارة الأولى هى : قيام إسرائيل ، وقد قامت سنة (١٩٤٨م).

٢- والإشارة الثانية هى : احتلال مدينة القدس ، وقد احتلت سنة (١٩٦٧ م).

٣- والإشارة الثالثة هى : إعادة بناء هيكل سليمان على أنقاض المسجد الأقصى . وهذا ما تعمل له إسرائيل منذ زمن ، وما تقوم به من حفريات تحت بنيان المسجد الأقصى ، بحجة البحث عن آثار يهودية مطموسة ، وفى مقدمتها الهيكل المزعوم .

ومن المعروف أن الهيكل قد دمر من قديم ، ورغم بحث اليهود وحفرياتهم لم يعثروا له على أثر ، وأعتقد أن تواصل هذه الحفريات يعرّض المسجد العظيم لخطر الانهيار ، كما أعتقد أن اليهود يعرفون متى سيحدث ذلك ، وهم الذين يحددون ذلك اليوم المشؤوم لا قدر الله .

وقفة متأنية لمناقشة الدعوى اليهودية :

وأحب أن أقف وقفة متأنية أمام ما زعمه كتبة «العهد القديم» من نصوص تقول : إن الله وعد إبراهيم عليه السلام بأن يعطى لنسله أرض فلسطين ، وكذلك وعد ابنه إسحاق ، ووعد حفيده يعقوب الذى سمَّوْه «إسرائيل». وعلى هذا الأساس سموا هذه الأرض : أرض الميعاد . فى هذه الوقفة نسأل عدة أسئلة :

من هم نسل إبراهيم ؟

أولا : ما المقصود بنسل إبراهيم عليه السلام : أهم أبناؤه من صلبه أم هم أبناؤه الروحيون ؟ أعنى : الذين يتبعون ملّته ، وينهجون نهجه ، ويهتدون بهداه ؟ أما أبناؤه وأحفاده من صلبه ، فهم ـ مثل أبيهم إبراهيم ـ لم يملكوا من هذه الأرض شبرًا واحدًا . فما المقصود بالأبناء إذن؟ .

إن المنطق الملائم للنبوة وللخلة التى تميز بها إبراهيم (خليل الله) : أن يكون أولى الناس به من آمن به واتبع هداه ، وهذا ما ذكره القرآن حين قال : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ (آل عمران:٦٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة:١٢٤).

بينت الآية أن الإمامة لا تنتقل بالوراثة ، وأن الظالمين لا يستحقون عهد الله ، لأن ما عند الله ينال بالأعمال لا بالأنساب كما قال رسول الإسلام : « من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ».

وقد برئ إبراهيم من أبيه لما تبين له أنه عدو لله ، كما برئ من قومه لما كفروا بالله ،كما قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ۚ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ ﴾ (الممتحنة:٤).

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾(التوبة: ١١٤)

أليس إسماعيل من نسل إبراهيم ؟! :

ثانيا : لو فرضنا أن المراد بنسل إبراهيم أولاده من صلبه ، فلماذا حرم أبناء إسماعيل بكره وولده الأول ؟ ولماذا انحاز الله ـ الحكم العدل ـ إلى بنى إسرائيل ضد بنى إسماعيل ؟!.

لقد ذكرت التوراة ـ فى سفر التكوين ـ أن (إسماعيل ابن إبراهيم) فى أكثر من اثنى عشر موضعا .

إلا أن الإسرائيليين يقولون : إن إسماعيل ابن الجارية هاجر، وإسحاق ابن الحرة سارة ، ولكن أليس كلاهما كان ابن إبراهيم ؟ وكلاهما نبيا رسولا من عند الله ؟ وهل يحرم أولاد الرجل ميراثهم من أبيهم بسبب أمهاتهم ؟.

وهنا سؤال آخر مهم ـ سأله لهم . الدكتور حسان حتحوت ـ عن أبناء إسرائيل (يعقوب) ـ الاثنى عشر، فقد ذكرت التوراة أن إسرائيل تزوج ابنتى خالته : راحيل وليئة ، جاريتيهما : زلبا وبلحا ، وقد ولدت الجاريتان ستة من أبناء إسرائيل ، فلم اعتبرتموهم من بنى إسرائيل ، ولم تنقصوا من بنوتهم مثقال ذرة ؟ وهنا لا يجدون جوابا.

هذا ، وقد استمر التسرى بالجوارى فى بنى إسرائيل ، فقد ذكرت أسفار العهد القديم أن داود كان له مائة زوجة ومائتان من الجوارى ، وأما ابنه سليمان فكان له ثلاثمائة زوجة وسبعمائة

جارية . ولا نزاع فى أن هؤلاء الجوارى أنجبن أولادا لداود وسليمان ، ولا ريب أن أولاد هؤلاء السرارى من بنى إسرائيل ، فما يقول اليهود فى ذلك أيضًا؟.

أين عدل الله ؟! :

ثالثا : كيف يعطي الله ـ الحكم العدل ، الذى حرم الظلم على نفسه ، وحرمه على عباده ـ أرضا يملكها أصحابها ملكًا شرعيًا مستقرًا ، لفئة من الناس ، هم دخلاء على هذه الأرض ، غرباء عنها ، وأين عدل الله تعالى وقسطه ، وهو يحب المقسطين ، ولا يحب الظالمين ؟.

وعد مشروط لم يف اليهود بشرطه :

رابعًا : هل هذا الوعد ـ إن صح ـ بمنح هذه الأرض : وعد مطلق أو وعد مشروط؟ وإذا كان مشروطا فهل تحققت شروطه؟. الذى يقرأ «الكتاب المقدس» عند النصارى ـ وخصوصًا أسفار العهد القديم ، يجد أن وعد الله لبنى إسرائيل إنما هو وعد مشروط ، بأن ينفذوا التعاليم ، ويحفظوا العهد ، ويصونوا أوامر الرب ونواهيه ، حتى يكونوا أهلا لنصر الله وتمكينه ، وهذا هو المعقول والملائم للعدالة الإلهية والحكمة الربانية ، فإن الله لا يعامل الناس بأنسابهم ، بل بأعمالهم .

اليهود نقضوا عهد الرب :

ينقل لنا محمد أبو فارس هذه النصوص :

التثنية / ٦ : ١٨ : «احفظوا وصايا الرب إلهكم وشهاداته وفرائضه التى أوصاكم بها».

التثنية / ٦ : ١٨ : «اعمل الصالح والحسن فى عينى الرب لكى يكون لك خير ، وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التى خلف الرب لآبائك».

التثنية / ٧ : ١١ : «فاحفظوا الوصايا والفرائض والأحكام التى أنا أوصيك اليوم لتعلمها».

هذه النصوص الثلاثة من سفر التثنية ـ العهد القديم ـ تشرح الشروط وتفصل الأسس التى جعلها الرب «رب بنى إسرائيل» جوهر «العهد».

لكن . . هل أدى . . والتزم . . وحافظ الطرف الثانى على ما أمره الرب به ؟.

الكتاب المقدس ـ الذى هو حسب اعتقاد أتباعه المسيحيين كتاب نصوصه ربانية ، واتباعه طاعة لأوامر الرب ـ يسجل :

أولا : سفر الخروج / ٣٢ : ٢ - ٣ - ٤ : «فقال لهم هارون : انزعوا أقراط الذهب التى فى آذان نسائكم وبنيكم وبناتكم وأْتونى بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التى فى آذانهم وأتوا بها إلى هارون ، فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلا مسبوكا [1]، فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التى أصعدتك من أرض مصر».

---

(١)فى القرآن : أن الذى صنع العجل الذهبى لبنى إسرائيل هو السامرى ، وأن هارون عليه السلام أنكر عليهم هذا العمل ، ولكنهم لم يسمعوا له . انظر الآيات (٨٥ - ٩٨) من سورة طه ، وفيها : ﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَـٰرُونُ مِن قَبْلُ يَـٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَـٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾ قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَـٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴾ (طه:٩٠،٩١) .

لقد عبد بنو إسرائيل أصناما من دون الله الواحد الذى قام «العهد» بينه وبينهم ، وهكذا ارتدوا إلى الوثنية وخرقوا - من جانبهم - بقيادة هارون (شقيق النبى موسي) ! شروط وأسس «العهد».

ثانيا : النبى إيلياه (إلياس) بعد ذلك بزمن طويل يخاطب الرب بهذه الكلمات :

الملوك الأول / ٩ : ١٠ : «.. لأن بنى إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف .. وهم يطلبون نفسى ليأخذوها».

ثالثا : النبى موسى «ذاته» (أى قبل النبى إيلياه) كان قد قال :

التثنية / ٩ : ٢٣ - ٢٤ : «يقول موسي : عصيتم قول الرب إلهكم ، ولم تصدقوه ولم تسمعوا لقوله ، قد كنتم تعصون الرب منذ عرفتكم».

رابعا : الرب نفسه يقول ليشوع :

يشوع / ٧ : ١١ : «الرب يقول : قد أخطأ إسرائيل بل تعدوا عهدى الذى أمرتهم به ، بل أخذوا من الحرام ، بل سرقوا ، بل أنكروا ...».

ملاحظة : «أخطأ إسرائيل» فى هذا النص تعنى : ارتكبوا خطيئة .

خامسا : خاطب نحميا بنى إسرائيل بهذا القول :

نحميا / ٣ : ٢٠ : «حقا إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتمونى يا بيت إسرائيل، يقول الرب» .

سادسا : نورد مرة أخرى مخاطبة وجهها موسى إلى بنى إسرائيل :

عدد / ٣٢ : ١٤ : «يقول موسى لبنى إسرائيل : فهو ذا أنتم قمتم عوضا عن آبائكم تربية أناس خطأة لكى تزيدوا أيضا حنق (غضب) الرب على إسرائيل».

سابعا : ميخا / ٣ : ٩ - ١٠ - ١١ : «اسمعوا هذا يا رؤساء بيت يعقوب ، وقضاة بيت إسرائيل، الذين يكرهون الحق ، ويعوجون كل مستقيم ، الذين يبنون صهيون بالدماء وأورشليم بالظلم ، رؤساؤها يقضون بالرشوة ، وكهنتها يُعلِّمون بالأجرة ، وأنبياؤها يعرفون بالفضة . .» .

نكتفى بهذه الأمثلة السبعة من أسفار العهد القديم ، حيث إنها تكشف مقدار التزام وطاعة بنى إسرائيل لشروط وبنود «العهد» الذى يدعون قيامه بين الرب وإبراهيم وإسحاق من بعده ويعقوب من بعدهما .

أيضًا فى العهد الجديد من الكتاب المقدس يوجد نصوص تصف مسلكيات القوم مع «العهد المزعوم».

أولا : يوجه يسوع المسيح للإسرائيليين هذا الخطاب:

متى / ٢١ : ٣١ : ٤٣ : «قال لهم يسوع : الحق أقول لكم أن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله ، لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق فلم تؤمنوا ، لذلك أقول لكم : إن ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل آثاره» .

ثانيا : يوحنا المعمدان هكذا يخاطب بنى إسرائيل :

متى / ٣ : ٧ : « قال لهم . . يا أولاد الأفاعى » .

ثالثا : يسوع نفسه يقول لبنى إسرائيل :

متى / ٢٣ : ١٣ - ٢٣ - ٣٣ : « فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء ، أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم ».

هكذا . . . واستنادا على نصوص توراتية من الكتاب المقدس أوردناها حرفيا فى هذا الفصل ، يتضح أنه ومنذ أيام موسى ويوشع بعده ، ثم إيلياه وأرميا وعزرا ونحميا وميخا ويوحنا المعمدان ، وأخيرًا فى زمن يسوع المسيح ، خرقت - من جانب واحد - شروط وأسس وبنود « العهد » الذى أبرم بين الله وإبراهيم ، خرقت مرارًا ومرارًا - وفى عصور كثيرة ، وعليه يبرز التساؤل :

وهل - بالرغم من هذا الاستهتار « بعهد الرب » وخرقه - لا تزال قائمة حقوق توراتية فى القرن العشرين بعد المسيح لأحد أو لجماعة فى بلدان ذات سيادة واستقلال مثل فلسطين ولبنان وسوريا ومصر والأردن ؟ لجماعات مثل « الفلاشا » الأثيوبيين ، أو لمواطنين من روسيا وأوكرانيا ، أو لأمريكيين وأرجنتينيين (مثل الذين يعيشون فى الكيبوتز) باسم « عهد » خرقه بنو إسرائيل منذ عشرات القرون - مرات ومرات ومرات - فى حقبات مختلفة

من التاريخ ؟ هل فى مثل هذه المطالبات بحقوق . . ذرة من إقناع ومنطق وإنصاف؟ [1].

منطق القرآن : الأرض يرثها الصالحون :

إن منطق القرآن : أن الله تعالى يعطى الأرض ويورثها للصالحين من عباده ، وليس لعرق من العروق ، وجنس من الأجناس ، فالله تعالى لا يعامل الناس بعروقهم وأنسابهم ، بل بإيمانهم وأعمالهم وتقواهم لله :﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣).

يقول تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ (الأنبياء:١٠٥).

فالصالحون هم الذين يرثون الأرض من أهلها الذين طغوا وظلموا ، وكذبوا رسل الله وآذوهم وصدوا عن سبيل الله.

كما قال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴾ (إبراهيم:١٣،١٤).

ولقد كانت الأمة الإسلامية هى الأمة المؤهلة لوراثة أرض النبوات ، وتحقيق وعد الله لإبراهيم فى أن يعطى هذه الأرض

---

(١) انظر : هل لبنى إسرائيل حقوق توراتية فى فلسطين ؟ لمحمد أحمد أبوفارس (ص ٣١ ، ٣٢).

لنسله ـ إن صحت هذه النبوءة ـ فهاهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم ، بل هاهم أبناء إبراهيم الروحيون ، الذين هم أولى الناس به ، وأتبعهم لملته ، قد ورثوا الأرض وقاموا بحقها ، وأقاموا فيها العدل والإحسان ، أربعة عشر قرنا من الزمان . وهم أصحاب الأرض وأهلها ، وهم باقون فيها إن شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، ووجودهم فى هذه الأرض هو الوجود الشرعى الوحيد الذى يقره الله ورسله والمؤمنون ، وكل المنصفين من عباد الله . وأما وجود الصهاينة فهو وجود دخيل غاصب معتد أثيم ، يستحيل أن يدوم . فهو حتما إلى زوال . وما ربك بغافل عما يعملون ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴾

(الشعراء:٢٢٧).

* * *